أَقْوَالُ وَقَصَصُ السَّلَفِ

فِي

قِيَامِ اللَّيْلِ

دكتور

أحمد مصطفى متولي

هذا الكتاب منشور في

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله الَّذِي لشرعه يَخْضَعُ مَنْ يعْبُد، ولِعَظَمتِه يخشعُ مَنْ يَرْكع ويسجُد، ولِطِيْب مناجاتِه يسهرُ المتَهَجِّدُ ولا يرْقُد، ولِطَلبِ ثوابِه يَبْذِلُ المجَاهدُ نَفْسَه ويَجْهد، يتَكَلَّمُ سبحانَه بكلامٍ يجِلُّ أنْ يُشَابِه كَلاَمَ المخلوقين ويَبْعد، أحمده حَمْدَ مَنْ يَرْجُو الوقوفَ على بابِه غيرَ مُشَرَّد، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحْدَه لا شريكَ له شهادةَ مَنْ أخلصَ لله وتَعَبَّد، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الَّذي قام بواجب العبادِة وتَزَوَّدْ، صلَّى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكرٍ الصديق الَّذِي ملأ قلَوب مُبْغِضيْهِ قَرحَاتٍ تُنْفِد، وعلى عُمَرَ الَّذِي كَانَ يُقَوِّي الإسلامَ ويَعْضُد، وعلى عثمان الَّذِي جاءَتْه الشهادةُ فلم يتردَّدْ، وعلى وعليٍّ الَّذِي كان ينْسفُ زرْعَ الكُفرِ بسيفِه ويَحْصُد، وعلى سائرِ آلِهِ وأصحابِه صلاة مُسْتَمرَّة على الزمانِ الْمُؤبَّد، وسلَّم تسليماً.

أَقْوَالُ وَقَصَصُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ

أ- أَقْوَالُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ

- عن عمر بن ذر قال: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة: قد سكنوا إلى فرشهم، ورجعوا إلى ملاذهم: من الضجعة والنوم قاموا إلى الله، فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم: من حسن عبادة السهر، وطول التهجد؛ فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم: فانقضى عنهم الليل، وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة؛ فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل: بربح وغبن: أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة؛ شتان ما بين الفريقين.

فاعملوا لأنفسكم رحمك الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون: من غبن خير الليل والنهار، والمحروم: من حرم خيرهما؛ إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم. فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيى القلوب بذكر الله؛ كم من قائم في هذا الليل: قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل: قد ندم على طول نومته عند ما يرى من

كرامة الله للعابدين غداً؛ فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله[١].

- عن الفضيل بن عياض قال: كان يقال: من أخلاق الأنبياء، والأصفياء الأخيار، الطاهرة قلوبهم: خلائق ثلاثة: الحلم، والأناة، وحظ من قيام الليل[٢].
- عن مسلم بن يسار قال: ما تلذذ المتلذذون، بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل[٣].
- عن معاوية بن قرة قال: كنا عند الحسن، فتذاكرنا: أي العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا علي قيام الليل؛ فقلت أنا: ترك المحارم؛ قال: فانتبه لها الحسن، فقال: تم الأمر، تم الأمر[٤].
- عن أحمد بن أبي الحواري قال: قال لي أبو سليمان الداراني: يا أحمد، كن كوكباً؛ فإن لم تكن كوكباً، فكن قمراً؛ فإن لم تكن قمراً، فكن شمساً؛ فقلت: يا أبا سليمان، القمر أضوأ من الكوكب، والشمس أضوأ من القمر؛ قال: يا أحمد، كن مثل الكوكب: طلع أول الليل إلى

---

[١] حلية الأولياء(٥/ ١١٤)

[٢] حلية الأولياء(٨/ ٩٥)

[٣] حلية الأولياء(٢/ ٢٩٤)

[٤] حلية الأولياء(٢/ ٢٩٩)

الفجر، فقم أول الليل إلى آخره؛ فإن لم تقو على قيام الليل، فكن مثل الشمس، تطلع أول النهار إلى آخره؛ فإن لم تقدر على قيام الليل، فلا تعص الله بالنهار[١].

- عن سيار قال: قلت لبكر بن أيوب: يا أبا يحي، كان أبوك يجهر بالقرآن من الليل؟ قال: نعم، جهراً شديداً؛ وكان يقوم السحر الأعلى[٢].
- قيل لحسان بن أبي سنان في مرضه: ماذا تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة الطرفين، أحيي ما بين طرفيها[٣].
- قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إن الرجل ليصلي بالليل ، فيجعل الله في وجه نورا يحبه عليه كل مسلم ، فيراه من لم يره قط فيقول : إن لأحبُ هذا الرجل !! .
- قيل للحسن البصري رحمه الله : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوها ؟ فقال لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره
- كان شريح بن هانئ رحمه الله يقول :ما فقد رجل شيئاً أهون عليه من نعسة تركها!!! (أي لأجل قيام الليل) .

---

[١] حلية الأولياء(٩/ ٢٦١)

[٢] حلية الأولياء(٣/ ٨)

[٣] حلية الأولياء(٣/ ١١٨)

- قال ثابت البناني رحمه الله : لا يسمى عابد أبداً عابدا ، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ، لأنهما من لحمه ودمه !!
- قال طاووس بن كيسان رحمه الله : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل ، فيصبح وقد كتبت له مائة حسنة أو أكثر من ذلك .
- قال سليمان بن طرخان رحمه الله : إن العين إذا عودتها النوم اعتادت ، وإذا عودتها السهر اعتادت .
- قال يزيد بن أبان الرقاشي رحمه الله : إذا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام الله عيني .
- قال ابن الجوزي رحمه : لما امتلأت أسماع المتهجدين بمعاتبة [كذب من أدعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني] حلفت أجفانهم على جفاء النوم .
- قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل ، كبلتك خطيئتك
- قال أبو حازم رحمه الله : لقد أدركنا أقواماً كانوا في العبادة على حد لا يقبل الزيادة !!
- قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟!! فقال : لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه

في الليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .

- قال رجل للحسن البصري رحمه الله : يا أبا سعيد : إني أبيت معافى وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟!! فقال الحسن : ذنوبك قيدتك !!
- وقال رجل للحسن البصري : أعياني قيام الليل ؟!! فقال : قيدتك خطاياك .
- قال الفضيل بن عياض رحمه الله : أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعة !! إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك (أي أفاق من نومه) قال : ليس هذا لك !! قومي خذي حظك من الآخرة !!.
- قال هشام الدستوائي رحمه الله : إن لله عبادا يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم.
- قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أفضل الأعمال ما أكرهت إليه النفوس .
- كان أبو إسحاق السبيعي رحمه الله يقول : يا معشر الشباب جدوا واجتهدوا ، وبادروا قوتكم ، واغتنموا شبيبتكم قبل أن تعجزوا ، فإنه قلّ ما مرّت عليّ ليلة إلا قرأت فيها بألف آية !!

- قال السري السقطي رحمه الله : رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل .
- كان بعض الصالحين يقف على بعض الشباب العبّاد إذا وضع طعامهم، ويقول لهم : لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فتناموا كثيرا ، فتخسروا كثيرا !!

قَصَصُ وَمَوَاقِفُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ

- عن ابن عمر: أنه كان يحي الليل صلاة، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: لا؛ فيعاود الصلاة؛ فيقول: يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: نعم؛ فيقعد، ويستغفر، ويدعو حتى يصبح[١].
- وكان ابن عمر: كلما استيقظ من الليل، صلى[٢].
- عن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبع ليال؛ فكان هو، وخادمه، وامرأته: يعتقبون الليل أثلاثاً[٣].
- عن محمد بن سيرين، أنه كان له سبعة أوراد يقرؤها بالليل، فإذا فاته شيء: قرأه في النهار[٤].
- وعنه، أنه نام عن العشاء حتى تفرطت، ثم قام، فصلاها؛ ثم أحيا بقية ليله[٥].
- عن موسى بن نافع الكوفي الأسدي قال: ذكرت لسعيد بن جبير: أني تركت بالكوفة ناساً: يوترون قبل أن يناموا، مخافة أن لا

---

[١] حلية الأولياء(١/ ٣٠٤)

[٢] حلية الأولياء(١/ ٣٠٤)

[٣] حلية الأولياء(١/ ٣٨٢.٣٨٣)

[٤] حلية الأولياء(٢/ ٢٧٢)

[٥] حلية الأولياء(٢/ ٢٧٢)

يستيقظوا للوتر، فيرزقهم الله قياماً من الليل، فيصلون شفعاً ما بدا لهم، ثم يعيدون وترهم؛ فقال: هذا من البدع؛ إذا أنت أوترت قبل أن تنام، ثم رزقك الله قياماً بعد وترك، فصل شفعاً ما بدا لك، ولا تعد وترك، واكتف بالذي كان[1].

- عن إبراهيم النخعي قال: لما كبر عمرو بن ميمون: وتد له وتدا في الحائط، فكان إذا سئم من طول القيام: استمسك به؛ أو: يربط حبلاً، فيتعلق به[2].
- عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال: قال أبي: لأغلبن الليلة على المقام؛ قال: فلما صليت العتمة، تخلصت إلى المقام، حتى قمت فيه؛ قال: فبينا أنا قائم، إذا رجل وضع يده بين كتفي، فإذا هو عثمان بن عفان؛ قال: فبدأ بأم القرآن، فقرأ، حتى ختم القرآن؛ فركع، وسجد، ثم أخذ نعليه؛ فلا أدري: أصلى قبل ذلك شيئاً، أم لا[3].
- عن جعفر قال: سمعت ا لمغيرة بن حبيب ـ أبا صالح، ختن مالك بن دينار ـ يقول: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار، لا أدري ما عمله؛ قال: فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست

---

[1] حلية الأولياء(٤/ ٢٨٠)

[2] حلية الأولياء(٤/ ١٥٠)

[3] حلية الأولياء(١/ ٥٦.٥٧)

قطيفة في أطول ما يكون الليل؛ قال: وجاء مالك، فقرب رغيفه، فأكل؛ ثم قام إلى آخر الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته، فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين، فحرم شيبة مالك بن دينار على النار؛ فوالله ما زال كذلك، حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت، فإذا هو على تلك الحال: يقدم رجلاً، ويؤخر رجلاً، ويقول: يا رب، إذا جمعت الأولين والآخرين، فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فما زال كذلك، حتى طلع الفجر؛ فقلت في نفسي: والله، لئن خرج مالك بن دينار فرآني، لا يبل لي عنده بالة أبداً؛ قال: فجئت إلى المنزل، وتركته[1].

- عن عبد الرحمن بن عجلان قال: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ .. "الآية [2] فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها، ببكاء شديد[3].

- عن سفيان قال: بلغنا: أن أم الربيع بن خثيم كانت تنادي ابنها الربيع، فتقول: يا بني، يا ربيع، ألا تنام؛ فيقول: يا أمه، من جن عليه الليل، وهو يخاف البيات، حق له أن لا ينام؛ قال: فلما بلغ،

---

[1] حلية الأولياء(٢/ ٣٦١.٣٦٢)

[2] [الجاثية: ٢١].

[3] حلية الأولياء(٢/ ١١٢)

ورأت ما يلقى من البكاء والسهر؛ نادته، فقالت: يا بني، لعلك قتلت قتيلاً؛ فقال: نعم يا والدة، قد قتلت قتيلاً؛ قالت: ومن هذا القتيل يا بني، حتى يتحمل على أهله، فيعفون؟ والله، لو يعلمون ما تلقى من البكاء والسهر بعد، لقد رحموك؛ فيقول: يا والده، هي نفسي[١].

- عن موسى بن بشار قال: صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان يصلي الليل أجمع، يصلي في المحمل جالساً، يومئ برأسه إيماءً؛ وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته، حتى لا يفطن له؛ وكان ربما عرس من الليل، فينزل، فيصلي، فإذا أصبح: أيقظ أصحابه، رجلاً رجلا، فيجيء إليه، فيقول: الصلاةَ الصلاة؛ فإذا قاموا، قال لنا: إن الماء قريب، فتوضئوا، وإن كان فيه بعد، وفي الماء الذي معكم قلة، فتيمموا، وأبقوا هذه للشفة[٢].

- عن ابن حرملة قال: حفظت صلاة ابن المسيب وعمله بالنهار، فسألت مولاه عن عمله بالليل، فأخبرني؛ فقال: وكان لا يدع أن يقرأ بصاد والقرآن، كل ليلة، فسألته عن ذلك؛ فأخبر: أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة، فقرأ بصاد، فلما مر بالسجدة سجد،

---

[١] حلية الأولياء(٢/ ١١٤)

[٢] حلية الأولياء(٢/ ٣٤٦)

وسجدة الشجرة معه، فسمعها تقول: اللهم، أعطني بهذه السجدة أجراً، وضع عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني، كما تقبلتها من عبدك داود[1].

- عن ضمرة بن حبيب، أن أبا ريحانة كان غائباً، فلما قدم على أهله: تعشى، ثم خرج إلى المسجد، فصلى العشاء الآخرة؛ فلما انصرف إلى بيته: قام يصلي، يفتتح سورة، ويختمها؛ فلم يزل كذلك، حتى طلع الفجر، وسمع المؤذن، فشد عليه ثيابه ليخرج إلى المسجد؛ فقالت له صاحبته: يا أبا ريحانة، كنت في غزوتك ما كنت، ثم قدمت الآن؛ فما كان لي فيك نصيب أو حظ؛ قال: بلى، لقد كان لك نصيب، ولكن شغلت عنك؛ قالت: يا أبا ريحانة، وما الذي شغلك عني؟ قال: ما زال قلبي يهوى فيما وصف الله: من لباسها، وأزواجها، ونعيمها، وما خطرت لي على بال، حتى طلع الفجر[2].

- عن داود بن إبراهيم: أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فرق الناس بعضهم بعضاً؛ فلما كان السحر: ذهب عنهم، فنزل الناس يميناً وشمالاً، فألقوا أنفسهم وناموا؛ فقام طاووس يصلي؛ فقال له

---

[1] حلية الأولياء(٢/ ١٦٤.١٦٥)

[2] حلية الأولياء(٢/ ٢٩)

رجل: ألا تنام؟ فإنك نصبت هذه الليلة؛ فقال طاووس: وهل ينام السحر أحد[١].

- عن مالك بن أنس قال: كان صفوان يصلي في الشتاء: في السطح، وفي الصيف: في بطن البيت، يتيقظ بالحر والبرد، حتى يصبح؛ ثم يقول: هذا الجهد من صفوان، وأنت أعلم؛ وإنه لترم رجلاه، حتى تعود مثل السفط من قيام الليل؛ ويظهر فيها عروق خضر[٢].
- عن موسى بن هلال قال: حدثنا رجل ـ كان جليساً لنا، وكانت امرأة حسان مولاة له ـ قال: حدثتني امرأة حسان بن أبي سنان، قالت: كان يجيء، فيدخل معي في فراشي، ثم يخادعني، كما تخادع المرأة صبيها؛ فإذا علم أني نمت، سل نفسه، فخرج، ثم يقوم فيصلي؛ قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله، كم تعذب نفسك؟ أرفق بنفسك؛ فقال: اسكتي، ويحك، فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً[٣].
- عن المنكدر قال: كان محمد – بن المنكدر – يقوم من الليل، فيتوضأ، ثم يدعو، فيحمد الله عز وجل، ويثني عليه، ويشكره، ثم يرفع

---

[١] حلية الأولياء(٤/ ١٤)

[٢] حلية الأولياء(٣/ ١٥٩)

[٣] حلية الأولياء(٣/ ١١٧)

صوته بالذكر؛ فقيل له: لم ترفع صوتك؟ قال: إن لي جارا يشتكي، يرفع صوته بالوجع، وأنا أرفع صوتي بالنعمة[١].

- عن شمر قال: أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي، فقال: كيف قوتك على الصلاة؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره؛ قال أبو عبد الرحمن: كنت أنا مثلك: أصلي العشاء، ثم أقوم أصلي، فإذا أنا حين أصلي الفجر: أنشط مني أول ما بدأت[٢].
- عن موسى بن طرفة قال: كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار، فيلمس بيده، ويقول: والله، إنك لطيب، والله، إنك لبارد، والله، لا علوتك ليلتي؛ فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة[٣].
- عن عباد قال: ربما زارني عاصم الأحول وهو صائم، فيفطر، فإذا صلى العشاء: تنحى، فصلى؛ فلا يزال يصلي، حتى يطلع الفجر؛ لا يضع جنبه[٤].

---

[١] حلية الأولياء(٣/ ١٤٦)

[٢] حلية الأولياء(٤/ ١٩٢)

[٣] حلية الأولياء(٩/ ٣١٨)

[٤] حلية الأولياء(٣/ ١٢٠)

- عن مالك بن إسماعيل قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول ـ وأعانه على بعض الحديث أخوه محمد ـ قال: آلى صفوان ابن سليم أن لا يضع جنبه إلى الأرض، حتى يلقى الله عز وجل، فلما حضره الموت وهو منتصب، قالت له ابنته: يا أبت، أنت في هذه الحالة، لو ألقيت نفسك، قال: يا بنية، إذاً ما وفيت له بالقول[١].
- كان أيوب السختياني يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح، رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة[٢].
- عن القاسم بن أبي أيوب الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل، حتى عمش[٣].
- عن عيسى بن عمر قال: كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً، فيقف على القبور؛ فيقول: يا أهل القبور، قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال؛ ثم يبكي، ويصف بين قدميه، حتى يصبح؛ فيرجع، فيشهد صلاة الصبح[٤].

---

[١] حلية الأولياء(٣/ ١٥٩)

[٢] حلية الأولياء(٣/ ٨)

[٣] حلية الأولياء(٤/ ٢٧٢)

[٤] حلية الأولياء(٤/ ١٥٨)

- صلى سيد التابعين سعيد بن المسيب – رحمه الله – الفجر خمسين سنة بوضوء العشاء وكان يسرد الصوم.
- قال محمد بن المنكدر رحمه الله : كابدت نفسي أربعين عاماً (أي جاهدتها وأكرهتها على الطاعات) حتى استقامت لي !!
- كان ثابت البناني يقول كابدت نفسي على القيام عشرين سنة !! وتلذذت به عشرين سنة .
- كان أحد الصالحين يصلي حتى تتورم قدماه فيضربها ويقول يا أمّارة بالسوء ما خلقتِ إلا للعبادة .
- كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي روّاد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل ، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول : ما ألينك !! ولكن فراش الجنة ألين منك!! ثم يقوم إلى صلاته .
- قال معمر : صلى إلى جنبي سليمان التميمي رحمه الله بعد العشاء الآخرة فسمعته يقرأ في صلاته : {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} حتى أتى على هذه الآية {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا ، ثم خرجت إلى بيتي ، فما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا سليمان التميمي في مكانه كما تركته البارحة !! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا }.

- قالت امرأة مسروق بن الأجدع : والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام !! ....، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف (أي إلى فراشه) كما يزحف البعير !!
- قال مخلد بن الحسين : ما انتبه من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يذكر الله ويصلي إلا أغتم لذلك ، ثم أتعزى بهذه الآية { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} .
- قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة ، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها !! ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري ، لأن لي في كل تدبر علماً جديدا ، والقرآن لا تنقضي عجائبه !!
- كان السري السقطي رحمه الله إذا جن عليه الليل وقام يصلي دافع البكاء أول الليل ، ثم دافع ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ في البكاء والنحيب .
- قال سفيان الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته .
- قال عطاء الخرساني رحمه الله : إن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أَبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه ، وإذا غلبته عينه فنام عن

حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزيناً منكسر القلب ، كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل).

- رأى معقل بن حبيب رحمه الله :قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة .
- قال مسعر بن كدام رحمه الله حاثاً على عدم الإكثار من الأكل :
- كان العبد الصالح علي بن بكار رحمه الله تفرش له جاريته فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب !! والله إنك لبارد !! والله لا علوتك ليلتي (أي لا تمت عليك هذه الليلة) ثم يقوم يصلي إلى الفجر !!
- عن جعفر بن زيد رحمه الله قال : خرجنا غزاة إلى [كأبول] وفي الجيش [صلة بن أشيم العدوي] رحمه ، قال : فترك الناس بعد العتمة (أي بعد العشاء) ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه ، فدخلت في أثره ، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ، وبينما هو يصلي إذا جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي !! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة ، أما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد !! ولا خاف من زئيره ولا بالى به !! ثم سجد صلة فاقترب

الأسد منه فقلت : الآن يفترسه !! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء ، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم ، التفت إلى الأسد وقال : أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر !! فولى الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال !! فما زال صلة يصلي حتى إذا قرب الفجر !! جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال : الله إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة !!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه (أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائماً) فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبي من الكسل والخمول شيء الله به عليم

- كان العبد الصالح عمرو بن عتبة بن فرقد رحمه الله يخرج للغزو في سبيل الله ، فإذا جاء الليل صف قدميه يناجي ربه ويبكي بين يديه ، كان أهل الجيش الذين خرج معهم عمرو لا يكلفون أحداً من الجيش بالحراسة ؛ لأن عمرو قد كفاهم ذلك بصلاته طوال الليل ، وذات ليلة وبينما عمرو بن عتبة رحمه الله يصلي من الليل والجيش نائم ، إذ سمعوا زئير أسد مفزع ،فهربوا وبقي عمرو في مكانه يصلي وما قطع صلاته !! ولا التفت فيها !! فلما انصرف الأسد ذاهبا عنهم رجعوا لعمرو فقالوا

له : أما خفت الأسد وأنت تصلي ؟!! فقال : إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه !!

- قال أبو جعفر البقال : دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله ، فرأيته يبكي بكاء كثيرا ما يكاد يتمالك نفسه !! فقلت له : أخبرني ما حالك؟!! فأراد أن يكتمني فلم أدعه ، فقال لي : فاتني حزبي البارحة !! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته ، فعوقبت بمنع حزبي !!ثم أخذ يبكي !! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه ، فقلت له : ما أعجب أمرك !! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها ، حتى قعدت تبكي !! فقال لي : دع عنك هذا يا أبا جعفر !! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته !! ثم غلب عليه البكاء !! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته .

- عن أبي غالب قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما ينزل علينا بمكة ، وكان يتهجد من الليل ، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح : يا أبا غالب : ألا تقوم تصلي ولو تقرأ بثلث القرآن ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلث القرآن ؟!! فقال إن سورة الإخلاص { قل هو الله أحد } تعدل ثلث القرآن .

- كان العبد الصالح عبد الواحد بن يزيد رحمه الله يقول لأهله في كل ليلة : يا أهل الدار انتبهوا !! (أي من نومكم) فما هذه (أي الدنيا) دار نوم ، عن قريب يأكلكم الدود !!
- قال محمد بن يوسف : كان سفيان الثوري رحمه الله يقيمنا في الليل ويقول : قوموا يا شباب !! صلوا ما دمتم شبابا !! إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟!!
- قال أبو يزيد المعَّنى : كان سفيان الثوري رحمه الله إذا أصبح مدَّ رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل !!
- دخلت إحدى النساء على زوجة الإمام الأوزاعي رحمه الله فرأت تلك المرأه بللاً في موضع سجود الأوزاعي ، فقالت لزوجة الأوزاعي : ثكلتك أمك !! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل) فقالت لها زوجة الأوزاعي : ويحك هذا يُصبح كل ليلة !! من أثر دموع الشيخ في سجوده .
- قال : إبراهيم بن شماس كنت أرى أحمد بن حنبل رحمه الله يحي الليل وهو غلام .

- كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه : أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمنهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا !! ثم يصلي إلى الفجر .
- رأى أحد الصالحين في منامه خياماً مضروبة فسأل : لمن هذه الخيام ؟!! فقيل هذه خيام المتهجدين بالقرآن !! فكان لا ينام الليل!!
- كان شداد بن أوس رضي الله عنه إذا دخل على فراشه يتقلب عليه بمنزلة القمح في المقلاة على النار!! ويقول اللهم إن النار قد أذهبت عني النوم !! ثم يقوم يصلي إلى الفجر .
- كان عامر بن عبد الله بن قيس رحمه الله إذا قام من الليل يصلي يقول : أبت عيناي أن تذوق طعم النوم مع ذكر النوم .
- قال الفضيل بن عياض – رحمه الله – : إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأُصبح وما قضيت نهمتي (أي ما شبعت من القرآن والصلاة) .
- لما احتضر العبد الصالح أبو الشعثاء رحمه الله بكى فقيل له : ما يبكيك !! فقال : إني لم أشتفِ من قيام الليل !!

- قال الفضيل بن عياض رحمه الله : كان يقال : من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم ، خلائق ثلاثة : الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل .
- كان ثابت البناني رحمه الله يصلي قائما حتى يتعب ، فإذا تعب صلى وهو جالس .
- قال حسن بن صالح رحمه الله : إني أستحي من الله تعالى أن أنام تكلفا (أي اضطجع على الفراش وليس بي نوم) حتى يكون النوم هو الذي يصير عني (أي هو الذي يغلبني) ، فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائما فلا أرقد الله عيني !!
- كان العبد الصالح سليمان التميمي – رحمه الله – هو وابنه يدوران في الليل في المساجد ،فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا !!

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

لَوْ رَأَيْتَهُمْ بَيْنَ سَاجِدٍ وَرَاكِعٍ، وَذَلِيلٍ مَخْمُولٍ مُتَوَاضِعٍ، وَمُنْكَسِرِ الطَّرْفِ مِنَ الْخَوْفِ خَاشِعٍ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ حَنَّ الْجَازِعُ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

نُفُوسُهُمْ بِالْمَحَبَّةِ عَلِقَتْ، وَقُلُوبُهُمْ بِالأَشْوَاقِ فُلِقَتْ، وَأَبْدَانُهُمْ لِلْخِدْمَةِ خُلِقَتْ، يَقُومُونَ إِذَا انْطَبَقَتْ أَجْفَانُ الْهَاجِعِ:

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

يُبَادِرُونَ بِالْعَمَلِ الأَجَلَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي سَدِّ الْخَلَلِ، وَيَعْتَذِرُونَ مِنْ مَاضِي الزَّلَلِ، وَالدَّمْعُ لَهُمْ شَافِعٌ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

سَبَقَ وَاللَّهِ الْقَوْمُ، بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ وَالصَّوْمِ، فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ حَارَبُوا النَّوْمَ وَالْعَزْمَ فِي الطَّوَالِعِ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

يُنَادِي مُنَادِي تَائِبِهِمْ: لا أَعُودُ، وَالْمُنْعِمُ يُنْعِمُ بِالْقَبُولِ وَيَجُودُ، هُمْ وَاللَّهِ مِنَ الْكَوْنِ الْمَقْصُودِ، فَمَا حِيلَةُ الْمَطْرُودِ وَالْمُعْطِي مَانِعٌ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

كُنْ يَا هَذَا رَفِيقَهُمْ، وَلِجْ وَإِنْ شَقَّ مَضِيقُهُمْ، وَاسْلُكْ وَلَوْ يَوْمًا طَرِيقَهُمْ فَالطَّرِيقُ وَاسِعٌ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

اهْجُرْ بِالنَّهَارِ طِيبَ الطَّعَامِ، وَدَعْ فِي الدُّجَى لَذِيذَ الْمَنَامِ، وَقُلْ لأَغْرَاضِ النَّفْسِ: سَلامٌ، وَاللَّهُ يدعو إلى دار السلام، فَمَا يَقْعُدُ السَّامِعُ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

يَا مَنْ يَرْجُو مَقَامَ الصَّالِحِينَ، وَهُوَ مُقِيمٌ مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُلُ مَنَازِلَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ يَنْزِلُ مع المذنبين، دَعْ هَذَا الْوَاقِعَ. الصِّدْقَ الصِّدْقَ فِيهِ تَسْلَمُ، الْجِدَّ الْجِدَّ فِيهِ تَغْنَمُ، الْبِدَارَ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ، هَذَا هُوَ الدَّوَاءُ النَّافِعُ

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"

وَأَخِيرًا

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحْظَى بِمُضَاعَفَةِ هَذِهِ الأُجُورِ وَالحَسَنَاتِ فَتَذَكَّرْ قَوْلَ سَيِّدِ البَرِيَّاتِ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١)

فَطُوبَى لِكُلِّ مَنْ دَلَّ عَلَى هَذَا الخَيْرِ واتَّقَى مَوْلَاهُ، سَوَاءً بِكَلِمَةٍ أَوْ مَوْعِظَةٍ اِبْتَغَى بِهَا وَجْه اللهِ، كَذَا مِنْ طَبْعَهَا(٢) رَجَاءَ ثوابها وَوَزَّعَهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ، وَمَنْ بَثَّهَا عَبْرَ القَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ، أَوْ شَبَكَةِ الإِنْتِرْنِت العَالَمِيَّةِ، وَمِنْ تَرْجَمَهَا إِلَى اللُّغَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ، لِتَنْتَفِعَ بِهَا الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ، وَيَكْفِيهُ وَعْدُ سَيِّدِ البَرِيَّةِ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»(٣)

أَمُوتُ وَيَبْقَى كُلُّ مَا كَتَبْتُه ... فيَالَيْتَ مَنْ قَرَأَ دَعَا لَيَا

عَسَى الإِلَـهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي ... وَيَغْفِرَ لِي سُوءَ فَعَالِيا

---

(١) رواه مسلم:١٣٣

(٢) أى هذه الرسالة

(٣) رواه الترمذى وصححه الألباني في صحيح الجامع : ٦٧٦٤

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ الرَحْمَنِ أَحْمَدُ مُصْطَفَى

dr_ahmedmostafa_CP@yahoo.com

(حُقُوقُ الطَّبْعِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ عَدَا مَنْ غَيَّرَ فِيهِ أَوْ اسْتَخْدَمَهُ فِي أَغْرَاضٍ تِجَارِيَّةٍ)

*****

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

أَقْوَالُ وَقَصَصُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ٤

أ– أَقْوَالُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ٤

قَصَصُ وَمَوَاقِفُ السَّلَفِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ١٠

"تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ" ٢٦

وَأَخِيرًا ٢٨

الفِهْرِسُ ٣٠